Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إن النغمة التى سادت قصصه الأولى عن الحرب لم تكن رومانسية ولا هستيرية، بل كان يسودها الحزن والألم. كانت الحرب بالنسبة له كارثة، ووباء مثل التيفوس. ولم تتغير نظرته المؤلمة هذه إلا فى أحد أعماله الأخيرة بعنوان «*الهروب من الجيش*»، حيث استطاع بعدعشرين عاما أن ينظر إلى تجربته فى الحرب نظرة كوميدية ساخرة. ففى قصصه المبكرة، عندما كانت ذكريات الحرب ما زالت ساخنة وحاضرة، لم يكن هناك مكان للدعابة. وفى عصر التجنيد الإجبارى والحرب الحديثة، فقدت الحرب سحرها الذى ربما كان لها فى الماضى، كما فقدت أيضا صفات البطولة التى كان يتميز بها فرسان الحرب فى العصور السابقة. ومما لا شك فيه أنه لا يوجد شىء رومانسى أو بطولى بالنسبة للجنود فى رواية «*وصل القطار فى ميعاده بالضبط*».

« أين كنت يا آدم ؟! »

وفى رواية «*أين كنت يا آدم؟!*»، كان الجنود مجرد معبئين للمدافع. إن محطة السكة الحديدية، التى تمثل فى أكثر أعمال هاينريش بول، عدم التميز وعدم الاستقرار وعدم الانتماء فى حياتنا العصرية، تصبح فى وقت الحرب ساحة انتظار للقدر. إن الرجال يُدْفَعون بالقوة الغاشمة إلى ركوب القطارات التى ترمز إلى القضاء والقدر، لكى تحملهم جميعا بدون أى مقاومة إلى الموت فى الميعاد المحدد بالضبط. وأحيانا يستطيع واحد منهم فقط أن يفلت من الموت. لقد استطاع جندى واحد فى رواية «*أين كنت يا آدم؟*» أن ينجو حتى اللحظة الأخيرة، ولكن عندما يصل إلى عتبة منزله تمزقه إربا قنبلة ألمانية بمحض المصادفة! ولم يقصد هاينريش بول أن يكتب قصة تثير لدى القارىء الرعب من أهوال الحرب، ولكن كان كل اهتمامه مصوبا نحو القضايا العميقة أكثر من اهتمامه بالتدمير الجسدى. ومما يدل على ذلك اختياره فى رواية «*أين كنت يا آدم؟*» لكلمة الفيلسوف تيودور هيكر التى يقول فيها:

> «إن مصائب العالم يمكن أن تكون لها فوائد كثيرة، من بينها أنها تصلح لأن تكون عذرا للإنسان أمام الله. فعندما يسأل الله الإنسان قائلا : أين كنت يا آدم؟» يجيبه الإنسان : «كنت غائبا ... كنت فى الحرب»!

إن إحباط الروح المعنوية والمهانة والانحلال الروحى وتعمية الجماهير، هى الموضوعات التى يهتم بول بإبرازها وتأكيدها. إنه يصور ردود الفعل التى تخلفها الحرب على الإنسان عندما يصف الرعب والاشمئزار، وأحاسيس الجرحى، وأنين